إلى آخرها. فوقف ابن تيمية على هذه الأبيات فثنى إحدى رجليه على الأخرى وأجاب في مجلسه قبل أن يقوم بمائة وتسعة عشر بيتاً أولها: [من الطويل]

سُـؤالُـك يـا هـذا سُـؤالُ مُـعـانـدِ مُـخـاصِـمِ رَبّ الـعَـرْشِ ربّ الـبَـريـةِ

وقال ابن سيّد الناس اليَعْمُري في ترجمة ابن تيمية أنه برز في كل فنّ على أبناء جنسه، ولم تَرَ عين من رآه مثله؛ ولا رأت عينه مثل نفسه. وقال الذهبي مترجماً له في بعض الإجازات: قرأ القرآن والفقه، وناظر واستدل وهو دون البلوغ، وبلغ في العلوم والتفسير، وأفتى ودرَّس، وهو دون العشرين، وصنّف التصانيف، وصار من أكابر العلماء في حياة مشايخه. وتصانيفه نحو أربعة آلاف كراسة وأكثر. و(قال): وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين، فضلاً عن المذاهب الأربعة فليس له فيه نظير. وقال: إنه لا يذكر مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الأئمة. وقد خالف الأئمة الأربعة في عدة مسائل، صنّف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة. وقد أثنى عليه جماعة من أكابر علماء عصره فمن بعدهم. ووصفوه بالتفرد، وأطلقوا في نعته عبارات ضخمة، وهو حقيق بذاك. والظاهر أنه لو سلم مما عرض له من المحن المستغرقة لأكثر أيامه، المكدرة لذهنه، المشوشة لفهمه، لكان له من المؤلفات والاجتهادات ما لم يكن لغيره. قال الصفدي: وكان كثيراً ما ينشد: [من المتقارب]

تـمـوتُ الـنـفـوسُ بِـأوصـابـهـا ولـم يَـدْرِ عُـوَّادُهـا مـا بِـهـا[1]
وَمـا أُنـصـفـتْ مُـهـجـةٌ تَـشْـتـكـي أذاهـا إلـى غَـيْـرِ أربـابِـهـا

ومما أنشد له على لسان الفقراء: [من مخلع البسيط]

واللَّـه مـا فَـقْـرُنـا اخـتـيـارُ وإنـمـا فَـقْـرُنـا اضـطـرارُ
جَـمـاعـةٌ كـلُّـنـا كَـسَـالـى وأكْـلُـنـا مـالَـهُ عِـيـارُ
تَـسْـمَـعُ مِـنَّـا إذا اجْـتَـمـعْـنـا حَـقـيـقـةً كـلّـهـا فـشـارُ[2]

٤١

(أحمد بن عبد الرَّحيم بن الحُسين بن عبد الرَّحمن ابن إبراهيم بن أبي بَكْر بن إبراهيم، الوليّ بن الزين العراقي)[3]

الآتي أبوه إن شاء اللَّه تعالى. ولد في سحر يوم الاثنين ثالث ذي الحجة سنة

(١) الأوصاب: جمع الوَصَب: التعب. العُوَّادُ: الزائرون في المرض.
(٢) الفشار: الكذب.
(٣) ترجمته في: شذرات الذهب: ٧/ ١٧٣؛ المنهل الصافي: ١/ ٣١٢؛ كشف الظنون: ١٢، =

٧٩٢ اثنتين وتسعين وسبعمائة[١] بالقاهرة، وأحضره والده على جماعة من الشيوخ، ورحل به إلى دمشق، فأحضره بها على أعيان علمائها. ثم لما عاد من الرحلة إلى مصر اجتهد في استيفاء شيوخ الديار المصرية، وأخذ عمن دَبَّ ودَرَج. وكتب الطباق وضبط الأسماء، وتدرّب بوالده في الحديث وفنونه، وكذا في غيره من فقه وأصول وعربية ومعان وبيان. وبرع في جميع ذلك، وشارك في غيرها من الفضائل. وأذن له غير واحدٍ من شيوخه بالإفتاء، والتدريس. واستمر يترقى لمزيد ذكائه حتى ساد، وأبدأَ وأعاد، وظهرت نجابته ونباهته، واشتهر فضله، وبهر عقله مع حسن خَلقه وخُلقه، وشرف نفسه، وتواضعه، وانجماعه وصيانته، وديانته وأمانته، وعفته، وضيق حاله، وكثرة عياله. ودرَّس وهو شاب في حياة أبيه. وقال أبوه في دروسه: [من البسيط]

دُروسُ أحمد خيرٌ من دُروسِ أبِه وذاكَ عندَ أبيه مُنتهى أَربه[٢]

ولما توجه والده لقضاء المدينة وخطابتها، قام بجميع وظائفه إلَّا مشيخة دار الحديث فإنه انتزعها منه شيخه ابن الملقن، فتحرك لمعارضته ثم سكنه بعض مشايخه فسكن. ثم أضيفت إليه جهات أبيه بعد موته فزادت رئاسته، وانتشرت في العلوم وجاهته، وأضيف إليه في بعض الأوقات قضاء منوف، وناب في القضاء عن العماد الكركي نحو عشرين سنة. ثم ترفع عن ذلك وفرغ نفسه للإفتاء والتدريس والتصنيف، إلى أن خطبه الظاهر ططر بغير سؤال، إلى قضاء الديار المصرية في منتصف شوّال سنة (٨٢٤) مع وجود السعاة فيه بالبذل. وذلك عقب موت الجلال البلقيني بأربعة أيام. فسار فيه أحسن سيرة بعفة ونزاهة، وحرمة وصرامة، وشهامة ومعرفة. وكان يحض أصحابه على الاهتمام بإجابة من يلتمس منهم الشفاعة عنده عملاً بالسنة. وقام عليه جماعته حتى ألزموه بتفضيل الرفيع من الثياب. وقرروا له أن في ذلك قوة في الشرع وتعظيماً للقائم به. وإلّا فلم يكن عزمه التحول عن جنس لباسه من قبل. واستمر حتى صُرِف، لتصميمه على الحق، وعدم مداراته لأهل الدولة، في أمور لا يحتملونها حتى شقّ ذلك عليهم فتمالئوا عليه. وكانت مدة ولايته سنة دون شهرين، فتمالئت وتكدرت الخواطر الصافية لعزله، وتنغّصت معيشته، ولكنه لزم طريقته في الاكباب على نشر العلم وتصنيفه إلى أن (مات) قبل استكمال سنة من صرفه مبطوناً شهيداً، آخر يوم الخميس سابع عشر من شعبان سنة ٨٢٦ ستٍّ وعشرين وثمانمائة، ثم دُفن إلى جنب والده بتربته. (قال ابن حَجَر): ولما صُرف من القضاء حصل له

= ١١٧، ٤٦٤؛ إيضاح المكنون: ١/ ٤٦، ٥٤، ٢/ ٨٣؛ معجم المؤلفين: ١/ ٢٧٠؛ الأعلام: ١/ ١٤٨.

(١) في الأعلام، ومعجم المؤلفين: ولد سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م، ونراه الأصوب.

(٢) الأَرَبُ: البُغيةُ والمُنْيَةُ، أو الحاجة الشديدة.

سوء مزاج من كونه صُرف ببعض تلامذته، بل ببعض من لا يفهم عنه كما ينبغي. فكان يقول: لو عُزلت بغير فلان ما صَعُب عليّ، وله مؤلفات، منها (البيان والتوضيح لمن أخرج له في الصحيح وقد مُسّ بضربٍ من التجريح) و(المستجاد في مهمات المتن والإسناد) و(تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل) و(أخبار المُدلِّسين) والذيل على «الكاشف» للذهبي. وأضاف إليه رجال مُسند أحمد. و(الإطراف بأوهام الأطراف) للمزي، و«شرح السنن» لأبي داود، كتب قطعة منه، وعمل التعقيبات على الرافعي، كتب منه نحو ستة مجلدات. وشرح «جمع الجوامع» شرحاً مختصراً. واختصر «الكشاف» مع تخريج أحاديثه وتتمات ونحوها. وله تذكرة مفيدة في عدة مجلدات. وأقرأ مصنفاته في حياته. وكان يُسرُّ بذكره، وله نظم ونثر كثير.

٤٢

(أحمد بن عبد اللَّه بن بَدْر بن مُفرِح ابن بَدْر بن عُثمان بن كَامل بن ثَعْلَب الشهاب العامري الغزّي ثم الدِّمشقيّ الشافعيّ)[١]

ولد في ربيع الأول سنة ٧٧٠[٢] سبعين وسبعمائة بغزة، ونشأ بها، فحفظ القرآن والتنبيه، ثم في كبره «الحاوي»، وأخذ عن قاضيها العلاء عليّ بن خَلَف، وسمع عليه «الصحيح»، ثم تحول إلى دمشق بعد الثمانين، وهو فاضل، فقطنها وأخذ بها عن جماعة من أهلها. ورحل إلى القدس، فأخذ عن التقي القلقشندي، وبرع في الفقه وأصوله، وشارك في غيرهما، مع مذاكرة حسنة في الحديث ومتعلقاته. وناب في الحكم عن الشمس الأحنائي، وعُيِّن مرَّةً للقضاء استقلالاً فلم يتم، وولي إفتاء دار العدل، والتدريس بعدة أماكن، وتصدّر للإقراء والإفتاء، واشتهر برئاسة الفتوى بدمشق، فلم يبق في أواخر عمره من يقاربه. وله تصانيف، منها (شرح الحاوي الصغير) في أربعة مجلدات و(شرح جمع الجوامع) و(شرح مختصر المهمات للإسنوي) في خمسة أسفار. وحجّ من دمشق غير مرة، وجاور بمكة ثلاث سنين متفرقة، وكانت (وفاته) بها مبطوناً في ظهر يوم الخميس سادس شوّال سنة ٨٢٢ اثنتين وعشرين وثمانمائة، وصُلّي عليه عند باب الكعبة، ودفن في المعلاة. (قال ابن حَجَر)

---

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ١/ ٣٥٦؛ المنهل الصافي: ١/ ٣٢٩؛ شذرات الذهب: ٧/ ١٥٣؛ كشف الظنون: ٥٩٦، ٦٢٦، ١٨٧٩؛ إيضاح المكنون: ٢/ ١٢٠؛ معجم المؤلفين: ١/ ٢٨٥؛ الأعلام: ١/ ١٥٩.

(٢) في رواية: ٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م.